

من بشارت النبوة

يقول رسول الله ﷺ: "أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى..."
ويقول: "أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمَحِّي بِي الْكُفْرَ
وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى عَقْبِي وَأَنَا الْعَاقِبُ"^(١) وَالْعَاقِبُ
الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ.

وروى أن سلمان الفارسي كان قد عرف أنه قد أظلم زمان نبي
مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجرة بين مرتين
_ أي مكان هجرته بين جبلين أسودين _ يعني المدينة المنورة وبينهما
نخل به علامات لا تخفى... يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين
كتفيه خاتم النبوة.

قال سلمان: "... ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يقبع الفرقد قد تتبع
جنازة رجل من أصحابه، فسلمت عليه ثم استدبرته أنظر إلى ظهره،
هل أرى الخاتم الذي وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى
الخاتم فعرفته، فأكبيت عليه أقبله وأبكي. فقال لي رسول الله
ﷺ: تحول، فتحولت بين يديه. وشهدت بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً
رسول الله. قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ
خَلْقِهِ ثُمَّ فَرَّقَهُمْ فَرِيقَيْنِ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ ثُمَّ جَعَلَهُمْ قِبَائِلَ،
فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً ثُمَّ جَعَلَهُمْ بِيُوتًا فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا
فَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا".

وقال ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لَوَاءُ
الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمُنِدُّ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحَتَّ لَوَائِي".

(١- هذا حديث حسن صحيح، أخرجه الشيخان وغيرهما .

(1) بحيرى الراهب

كان النبى ﷺ فى كفالة عمه أبى طالب، والذى تأهب للسفر مع القافلة الذاهبة إلى الشام للتجارة، فأبدى النبى ﷺ رغبته لعمه فى مصاحبته وهو يومئذ فى الثانية عشرة على الأكثر، فاستصحبه عمه على بعيره، وسارت القافلة خلال الصحراء إلى سوق بصرى من أرض الشام.

وكان بطريق القافلة صومعه لجبر من يهود تيماء يسمى بحيرى الراهب، كان لا يخرج من صومعته أبداً للتجار من قريش ولا يتكلم معهم إذا مروا، ولكنه خرج وكلمهم ووضع لهم طعاماً فعجبوا، وقالوا له: إن لك لشأنا اليوم.. فدعاهم جميعاً إلى الطعام، وقال: لا يتخلف أحد منكم، وتخلف النبى ﷺ فى رحالهم تحت شجرة، فلما اجتمعوا لم يجد بحيرى طلبته، فقال لهم: فيكم متخلف؟ فقالوا: لم يتخلف إلا غلام وهو أحدثنا سناً، فقال: ادعوه، فأتوه به فرآه بحيرى، وجعل يلحظه به فرآه بحيرى، وجعل يلحظه بشده. فلما انتهوا من الطعام وتفرقوا، أقبل بحيرى على النبى ﷺ وقال له: يا غلام أسألك بحق اللات والعزى، فقال ﷺ: لا تسألنى بحق اللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما. فقال بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه.

وجعل يسأل والنبى ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرى من صفة، ونظر إلى عاتقه، فوجد خاتم النبوة بين كتفيه فى موضعه الذى ذكره فى صفته، ثم أقبل بحيرى على عمه أبى طالب فقال: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابنى. فقال: ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً. قال أبو طالب: فإنه ابن أخى، قال: فما فعل أبوه؟

قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت. فما فعلت أمه؟

قال: توفيت قريباً. قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود فوالله لو رأوه وعرفوا ما عرفوا لقتلوه، وإن لابن أخيك هذا لشأناً عظيماً، وإنه لنبي هذه الأمة لما نجده فى كتبنا ورويناها عن آياتنا، واعلم أنى قد أدبت إليك النصيحة فأسرع به إلى بلده، فرجع به أبو طالب مسرعاً إلى مكة حذراً عليه من حوادث الزمن.

(٢) ورقة بن نوفل

لما بدأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ بسورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١). أثرت تلك الآيات فى نفسه تأثيراً بالغاً، فأمن بما أوحى إليه من آيات واطمأن قلبه، وآمنت خديجة زوجته رضى الله عنها أيضاً، ولكنها أرادت أن تعلم ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العرى، تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما يشاء أن يكتب، وكان شيخاً قد عمى. فقالت له خديجة: "يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك".

فقال له ورقة: يا أخى ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ بخير ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس (أى الوحي) الذى أنزل على موسى ﷺ، ليتنى فيها جذعاً، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: "أومخرجى هم؟"

قال: نعم، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا.

ثم لم يلبث أن توفى ورقة وفتى الوحي.

(٣) عتبة بن ربيعة

تعرض كفار قريش لرسول الله ﷺ بالأذى لإرجاعه عن أمره، فلما وجدوا أن طريق الأذى لم يجدهم نفعاً فيما يريدون، اجتمعوا للشورى، فاتفقوا على أن يبعثوا إليه عتبة بن ربيعة، وكان من عظمائهم ليعرض عليه أموراً، لعله يقبلها ويرجع عن هذه الدعوى، فذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي في المسجد. وقال له: يا ابن أخي إنك من خيارنا حسياً ونسباً، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم ودينهم، ومن مضى من آبائهم، فإن كنت تريد ملكاً، ملكناك علينا، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كان هذا الذي يأتيك رتيباً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فلما فرغ من كلامه ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: قد فرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم، قال: فاسمع مني. قال: أفعل. قال: ﴿حَمْرٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ حَتَّىٰ بَلَغَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُمُ بِالنَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۗ﴾ (فصلت ١-٢٨).

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة منه أتصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد. ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك. فرجع عتبة إلى قومه وقال لهم: يا معشر قريش لقد سمعت قولاً ما سمعت مثله، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر فأطيعوني وامتنعوا عن الرجل. فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعته شأن فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم

وإن يظهر على العرب فعزه عزكم، فقالوا: لقد رجع عتبه بغير الوجه الذى ذهب به، لقد سحرك محمد والله يا أبا الوليد بلسانه.
قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

(٤) عمير بن وهب الجمحى

بعد أن انتصر المسلمون على كفار قريش فى غزوة بدر الكبرى، وتحقق لهم ما تنبأ به رسول الله ﷺ من أن عير قريش كادت أن تغدو نقلاً للمسلمين، زلزل المشركون لهذا زلزالاً شديداً، وجلس عمير بن وهب الجمحى مع صفوان بن أمية بن خلف يذكر مصاب أهل بدر من أصحاب القليب^(١).

فقال صفوان: والله ما فى العيش بعدهم خير.. وإن باطن الأرض لخير من ظهرها، لا أكاد أصدق أن يقتل عتبه بن ربيعة وأخوة شيبة، وعمرو بن هشام، وأميه بن خلف وابنه على، وعتبه بن أبى معيط وأبو البختري ... وغيرهم.

كان عمير جالساً فى الحجر يتذاكر مع رفيقه هذا المصاب، وهو الذى كان شيطاناً من شياطين قريش لا يكف أذاه عن الرسول ﷺ وأصحابه وهم بمكة.

قال عمير: صدقت والله. لولا دين على لا أظن أنى يمكننى قضاءه الآن، وعيال أخشى عليهم الضيعة من بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، وإن لى عذر وعلة فى ذلك فأبنتى أسير أيديهم من بعدما هدأت الحرب.

فاغتم صفوان الفرصة مشجعاً رفيقه على الاسترسال فى غيه.

(١) يقال أن القليب مكان منخفض عميقة بلى الزريب كان المسلمون يجمعون فيه جثث المشركين.

لا تحمل لذلك هما فعلى دينك أفضيه عنك ، ولا تخشى على عيالك
فهم مع عيالى أواسيهم ما بقوا أحياء .
فقال : فأكرم عنى شأني وشأنك .
لا تبع به لأحد .
قال صفوان : أفعل .

وما أن غادر عمير صاحبه حتى أقبل يشحذ سيفه وسمه وامتطى
صهوة جواده متوجهاً إلى المدينة المنورة . توجه أولاً إلى مكان قريب ،
حيث أعدت له راحلة السفر ، وما كان قيظ مكة ليثنيه عما نوى
أن يفعله .

وعند المسجد النبوي ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبعض
الصحابة يذكرون ما أكرمهم الله به من انتصارات ، إذ لمح عمر
عميراً ينيخ راحلته عند المسجد متوجهاً إليه متوشحاً سيفه .
قال عمر لأصحابه : هذا الكلب ما جاء إلا لشر . ادخلوا المسجد
كى نحى رسول الله ﷺ . إحدروا من هذا الخبيث فإنه غير مأمون
عليه . فهو الذى حرش بيننا وحزرننا للقوم .

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله هذا عدو الله
عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فادخله على . فأقبل عمر
حتى أخذ بحمالة سيفه فلبسه بها ، ثم دخل به على رسول الله ﷺ ،
فلما رآه الرسول ﷺ وعمر أخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال : أرسله يا
عمر . اذن يا عمير . فدنا . فقال : فما جاء بك يا عمير ؟

قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا إلى فيه .

قال : فما بال السيف فى عنقك ؟

قال : قبحتها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟

قال الرسول ﷺ: اصدقنى ما الذى جئت له؟

قال: ما جئت إلا لذلك.

قال: بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر فذكرتما أصحاب القلب من قتلى قريش. ثم قلت لولا دين علي عيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً. فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له. والله حائل بيني وبين ما تريد.

قال عمير: أشهد أنك رسول الله. قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك الوحي. وهذا أمر لم يحضره أحد إلا أنا وصفوان ولم نبح به لأحد. فوالله إنى أعلم ما أتاك به الله وما أنبتك إلا العليم الخبير. فالحمد لله الذى هدانى للإسلام وساقنى هذا المساق. ثم شهد شهادة التوحيد والحق. فقال رسول الله ﷺ: فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا.

فقال: يا رسول الله إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ﷻ وأنا أحب أن تأذن لى حتى أقدم مكة فأدعوهم إلى الإسلام وإلى الله وإلى رسوله ﷺ لعل الله يهديهم وإلا أذيتهم فى دينهم كما كنت أؤذى أصحابك فى دينهم. فأذن له رسول الله ﷺ ولحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير يقول: أبشروا بواقعة تأتاكم الآن فى أيام تتسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه. فحلف أن لا يكلمه ولا ينفعه بنفع أبداً.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذى من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير. وعند فتح مكة

هرب صفوان في هذا اليوم إلى جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي، وقد خرج هارباً منك فأمنه، فقال هو آمن.

قال عمير: يا رسول الله أعطني شيئاً يعرف به أمانك، فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة، فخرج عمير حتى أدركه بجدة، فقال: يا صفوان هذا أمان رسول الله ﷺ. فرجع معه حتى وقف به على رسول الله.

فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتني؟ قال: صدق.

قال صفوان: فاجعلني في أمرى بالخيار شهرين. قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر، فلما خرج النبي ﷺ إلى حنين وهوازن استعار من صفوان مائة درع.

قال: أغضباً يا محمد؟

قال النبي ﷺ: بل عارية مضمونة، يقصد أنها بالأجر يدفع مقابلها. وشارك صفوان بن أمية مع المسلمين في غزوة حنين، وقد أعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل من غنائم غزوة الطائف. ويقال أن صفوان بن أمية طاف مع رسول الله ﷺ وهو يتصفح الغنائم وإذا بشعب مما أفاء الله عليه فيه غنم وإبل ورعاء فأعجب صفوان، وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله ﷺ: أعجبك يا أب وهب هذا الشعب. قال: نعم. قال: هو لك وما فيه فقال له صفوان: أشهد ما طابت نفس أحد بهذا إلا نبي وأشهد أنك رسول الله.

(ه) سراقة بن مالك بن جعشم

لما أذن رسول الله ﷺ للمسلمين في مكة بالهجرة إلى المدينة المنورة، وأتى أبو بكر الصديق للرسول ليأذن له بالهجرة، فقال

رسول الله ﷺ : على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لي. قال: هل ترجو بأبى أنت ذلك؟ فرحا بأن سيصحب رسول الله . قال: نعم، فعبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصعبه وأعد راكبتين لذلك.

كان الرسول ﷺ وصاحبه قد اتجها للجنوب للتمويه على كفار قريش واختبأ في غار ثور، وغمى الله عيون الكفار الذين يطاردونهم عنهم، فلما انصرف كفار قريش عادا بصحبة عامر بن فهيرة مولى أبى بكر إلى الارتحال جهة المدينة متخذين طريق الساحل.

وكان سراقه بن مالك بصحبة بعض رفاقة جالساً معهم، إذ قال أحدهم: إنى أرى خيالات ثلاثة عن بعد لعلمهم محمد ومن يعاونه الذين يتحدثون عنهم.

فقال سراقه صارفاً أنظار رفاقه عنهم: لا، ليسوا هم، فهو لآء رجال آخرون كانوا يتحدثون عن ضاله لهم. وقام سراقه مسرعاً يعد فرسه ويمنى نفسه بالحصول على مائه بعير قد وعدت به قريش من يدل على محمد أو يأتى به.

أسرع سراقه بالمطاردة وكاد أن يلحق بمحمد وصاحبه، حتى أن أبا بكر دمعت عيناه فسأله الرسول ﷺ عما يبكيه فقال له مؤكداً " ليس على نفسى ولكن عليك أنت يا رسول الله. قال الرسول ﷺ : لا تحزن، إن الله معنا". فلما دنا منهم سراقه، فدعا رسول الله ﷺ : اللهم اكفناه بما شئت، فساخت بسراقه فرسه فى الأرض إلى بطنها، فوثب عنها، أدرك سراقه فى تلك اللحظة أن هذا هو نبي الله وأن ما حدث له من عصمة الله سبحانه نبيه. ثم قال سراقه: يا محمد قد علمت أن هذا عمك فادع الله أن يتجبنى مما أنا فيه، فوالله لأعمين على من وراثى من الطلب، وهذه كنانتى فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بببلى وغنمى، فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ : لا حاجه

لنا في إبلك وغنمك ، فدعا له فانطلق راجعاً إلى أصحابه ، ومضى رسول الله ﷺ وصاحبه حتى قدم المدينة ليلاً . وكان سراقاً قد طلب من رسول الله كتاباً حتى إذا جاءه بعدئذ يعرفه ، فطلب أبو بكر في رقعة من آدم كتاب موادة يأمنه به ودفعه إلى سراقاً عامر بن فهيرة . ولم يذكر سراقاً شيئاً مما كان حتى فتح الله مكة وفرغ رسول الله من حنين ، فخرج سراقاً ليلقاه ومعه الكتاب ، فدنا من رسول الله ، وهو على ناقته ، فرفع يديه بالكتاب وسأله عن ضالته ، ثم انصرف وساق إلى رسول الله ﷺ صدقته .

وقد أسلم سراقاً وحسن إسلامه .

وقد أتى لعمر بن الخطاب بغزوة كسرى بعد أن فتح الله للمسلمين بلاد فارس ، فوضعت بين يديه ، وفي القوم سراقاً بن مالك بن جعشم ، فألقى إليه سوارى كسرى بن هرمز فجعلهما في يدي سراقاً قال : الحمد لله ..

سوارا كسرى في يدي سراقاً أعرابي من بني مديح ، فكان كما تنبأ رسول الله ﷺ من أن الله سيفتح على يد المسلمين ممالك الأرض ولا عجب إن رأيتم سوارى كسرى بن هرمز في يدي سراقاً بن مالك بن جعشم المدلجى .

(٦) إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

كان الحقد والغیظ يملأ قلوب كفار قريش ، ودعوة رسول الله ﷺ تزداد انتشاراً يوماً عن يوم ، فكان الكفار يناولون منه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وفي يوم من الأيام لقيه أبو جهل عمرو بن هشام عند الصفا فجعل يسبه ويناله بفاحش من القول ، ورسول الله ﷺ يعرض عنه ولا يصدده ولا يرده ، ثم انصرف أبو جهل إلى نادى

قريش عند الكعبة فجلس مع رفاقه ، حدث كل هذا على مرأى ومسمع مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لهما عند الصفا ، فلما أقبل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ من الصيد متنكباً قوسه ، أخبرته الأمة بما رأت من أبي جهل ، فغضب حمزة غضباً شديداً ، وكان من أشد فتيان قريش شكيمة ، فأخذته الحمية على من ينال من ابن أخيه ، فانطلق من فورة إلى أبي جهل ، فوجده جالساً في نادي القوم ، فضربه بالقوس فشجه شجة منكرة ، ثم وقف أمامه كالأسد الهائج وقال له وكان لا يزال على دين قومه: أنتشم ابن أخي وأنا على دينه أقول ما يقول!!

فرد على ذلك إن استطعت. فقام رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل.

فقال أبو جهل في استخذاء: "دعوا أبا عماره، فإنى والله سببت ابن أخيه سباً قبيحاً".

وذهب حمزة إلى رسول الله ﷺ فأعلن إسلامه.. فقويت به شوكة الإسلام، وعزبه المسلمون. فكانت شجاعته وبأسه وقوته كلها بعد ذلك في سبيل إعلاء كلمة الله. فسمى "أسد الله" وكان إسلامه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سنة ست من البعثة النبوية الشريفة. واستشهد في غزوة أحد ، فأبى جنة الخلد.

(٧) إسلام الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مع بدايات الإسلام، وفي السنة السادسة من النبوة، كان عمر بن الخطاب لا يزال يدين بدين آبائه، وبقي ظاهراً في عداوته ضد الإسلام، وبخاصة أن عمر كان عنيفاً شديد البأس، يمتاز بطولهِ الفارع وجراته النادرة، حتى أنه كان يضمّر للإسلام ورسوله عداوة

لا تقل في عنفها عن عداوة خاله عدو الله أبي جهل، رغم أن عمر كان يكمن في قلبه شعور في ليلة اضطر فيها إلى المبيت خارج بيته، فجاء إلى الحرم، ودخل في ستر الكعبة - والنبي ﷺ قائم يصلي، وقد استفتح سورة "الحاقة" فجعل عمر يستمع إلى القرآن، ويعجب من تاليفه، فيقول في نفسه "هذا والله ليس بشاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الحاقة: ٤٠ - ٤١) فحدثته نفسه "كاهن".

قال: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ (الحاقة: ٤٢ - ٤٣) إلى آخر السورة فوقع الإسلام في قلبه. إلا أن عمر كان يرى أن رسول الله ﷺ هو الذي فرق أمر قريش، وعاب دينها وسب آلهتها، وأنه سب بلائها كله، فعزم على أن يقتله ليسترح الناس منه، فخرج متوشحاً سيفه يريد القضاء على النبي ﷺ، فلقى نعيم بن عبد الله، فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً، هذا الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها، فأقتله.

فقال له نعيم: والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر!! أتري بنى عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟
أفلا ترجع إلى أهل بيتك لتقيم أمرهم؟
قال: وأي أهل بيتي؟

قال: ابن عمك وصهرك سعيد بن زيد بن عمر، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما. فرجع عمر عامداً إلى أخته وصهره، في تلك اللحظة كان عندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة "طه" يقرئها إياها، فلما سمعوا صوت عمر تغيب خباب في جانب من البيت، وأخذت فاطمة

الصحيفى فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما. فلما دخل قال: ما هذه الهيمنة التى سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئاً.

قال: بلى والله وقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه!! وبطش بسعيد بن زيد، فقامت أخته تذوده عن زوجها فضربها فشحها وسال دمها، فلما فعل ذلك قالت له أخته: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله وبرسوله، فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع بها وبزوجها، فكف عنهما خجلاً، وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون أنفاً، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد. وكان عمر كاتباً ومن أعلم الناس بالشعر، فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافى. وحلف لها بألته ليردنها إليها إذا قرأها.

فلما قال ذلك طمعت فاطمة بنت الخطاب فى إسلامه. فقالت له: يا أذى، إنك على شركك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر، فقام عمر فاغسل فأعطته الصحيفة وفيها صدرًا من سورة "طه". فلما قرأها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!! فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه من مكمنه فقال له: يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ فإنى سمعته أمس وهو يقول: اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين بأحب الرجلين إليك. عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام. فكان أحبهما إلى الله عمر رضي الله عنه، قاله الله يا عمر. فقال له عمر عند ذلك "فدلتنى على محمد حتى آتته فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا مع نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشع به، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ فضرب عليهم الباب، فلما

سمعوا صوته قام رجل من أصحاب النبي ﷺ فنظر من خلل الباب،
فراه متوشحاً سيفه ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: "هذا
عمر بن الخطاب بالباب متوشحاً السيف ، قال حمزة بن عبد المطلب:
فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً
قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله ﷺ "أذن له" فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول
الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته _ أو مجمع رداءه _ ثم
جبهه جبذة شديدة. وقال ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن
تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله ، جئتك لأؤمن
بالله ویرسوله. وبما جاء من عند الله. فكبر رسول الله ﷺ تكبيراً
عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزوا
فى أنفسهم حين أسلم عمر بعد إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان
رسول الله ﷺ ، وأنهم سينتصفون بهما من أعدائهم. وقد أبى عمر
إلا أن يعلن إسلامه على جميع الثملاً من قريش ، فساروا إليه وقاموا
يضربونه ويضربهم حتى قعد وقد أعياء وقاموا على رأسه ، وهو يقول:
أفعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله لو كنا ثلاثمائة رجل لتركناها
لكم أو تركتموها لنا.

وما زال القوم قائمين على رأس عمر حتى مر بهم العاص بن وائل
السهمي _ أحد زعماء قريش _ فصرفهم عنه وهو يقول لهم: رجل
اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون منه؟ أترون بنى عدى بن كعب
يسلمون لكم صاحبهم هكذا ، خلوا عن الرجل _ فانصرفوا وهم
يتحرقون من الغيظ. ولم يكتف عمر بهذا الإعلان عن إسلامه ، بل
ذهب إلى خاله أبى جهل ، وهو يعلم أنه أعدى أعداء النبي ﷺ فأخبره
بإسلامه ، فبهت أبو جهل لهذا النبأ المفاجئ ، وضرب الباب فى وجهه
قائلاً: قبحك الله وقبح ما جئت به.

وذاات يوم قال عمر لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال ﷺ: والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم. قال: فميمم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن..

يقول عمر رضي الله عنه: فخرجنا في صفيين. حمزة على أحدهما وأنا على الآخر، لهما كديد ككديد الطحين، حتى دخلنا المسجد، فنظرت إلى قريش وإلى حمزة، فأصابتهم كيبه لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق، أي الذي يفرق الله به بين الحق والباطل.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: ما كنا نقدر أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، ومازلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.

(٨) " فخلوا سبيلها فإنها مأمورة "

ناقة رسول الله " القصواء "

لما بشر رسول الله ﷺ المسلمين بهجرتهم إلى يثرب. هاجر من هاجر إلى المدينة المنورة، ورجع من كان هاجر إلى الحبشة - رجع إلى أرض يثرب. وكان قد حضر إلى موسم الحج في مكة في السنة الثالثة عشرة من النبوة يونيو ٦٢٢م بضع وسبعون نفساً من أهل يثرب. كانوا ضمن حجاج قومهم من المشركين. فلما قدموا مكة اتصلوا سرًا بالنبي ﷺ واتفقوا معه على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة عند الجمرة الأولى من منى، على أن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل. كان معهم عبد الله بن مرام - سيد من ساداتهم، دعوه إلى الإسلام وأخبروه بميعاد رسول الله ﷺ إياهم بالعقبة، فأسلم وشهد معهم العقبة وكان نقيباً.

كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من نسايتهم: نسيية بنت كعب أم عمارة من بنى مازن بن النجار، وأسما بنت عمرو أم منيع من بنى سلمة. فاجتمعوا فى الشعب ينتظرون رسول الله ﷺ حتى جاءهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب _ وهو يومئذ على دين قومه _ إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.

وكانت البيعة هى تعتبر معاهدة دينية وعسكرية تم ابرامها بنى النبى ﷺ والحاضرين من الأنصار. كان من الحاضرين رجلان من الذين أسلموا فى موسمى حج ١١، ١٢ من النبوة. وقام أحدهما تلو الآخر ليوضحا خطورة المسئولية ومدى استعداد القوم للتضحية من أجل الدعوة. وقد أوضح لهم العباس بن عبد المطلب أن ابن أخيه فى عز ومنعه من قومه فى بلده، وأنه قد أبى إلا الانحياز إليهم وللحوق بهم، وأنه أتى إليهم ليبياعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، للتأكد من أنهم وافون له بما دعاهم إليه، وهذا أى نصرة رسول الله ﷺ ومنعته خير الدنيا والآخرة وإن وفوا بذلك فلهم الجنة كما قال رسول الله ﷺ. فأجابوا البيعة فهى السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن يقولوا فى الله لا تأخذهم فى الله لومة لائم، وعلى أن ينصروه إذا قدم إليهم ويمنعونه مما يمنعون عن أنفسهم وأزواجهم وأبنائهم ولههم الجنة. بعدما قيل هذا، أخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما تمنع أنفسنا منه. فبايعوا رسول الله، ولما أرادوا الوثوق من أن رسول الله لن يرجع إلى قومه ويدعهم إن أظهره الله، قال: بل الدم الدم. والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم، وطلب رسول الله ﷺ انتخاب اثنى عشر زعيماً يكونون نقباء على قومهم وكانوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

بعد شهرين وبضعة أيام من بيعة العقبة الكبرى، لم يبق بمكة إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي، إذ أمرهما رسول الله ﷺ بالانتظار معه، وبقي كذلك بمكة من احتبسه المشركون كرها.

وتجهز أبو بكر للهجرة فقال له رسول الله ﷺ "علي رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبو بكر وقد أدرك أنه يسأله الصحبة: وهل ترجو ذلك بأبي أنت يا رسول الله".

قال: نعم، فانتظر أبو بكر ليصحب رسول الله ﷺ وعلف راحلتين كانتا عنده، استعداداً للهجرة. كانت أحدهما القصواء ناقة رسول الله ﷺ.

نزل المهاجرون من أهل مكة على أخوانهم من أهل المدينة. فأنزلوهم من نفوسهم منزلة الأهل والعشيرة وقاسموهم أموالهم وديارهم بسماحة المؤاخاة التي أمرهم بها رسول الله ﷺ.

وبعد أن نجى الله رسوله ثلاث مرات، الأولى من المؤامرة الكبرى لقريش لقتله عند بيته، والثانية لتعقبهم له ولصاحبه عندما اختبأ بغار ثور، والثالثة عندما تعقبه سراقة بن مالك وكاد أن يلحق بهم لولا عناية الله سبحانه وتعالى فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في الرمال وأدرك أن هذا من عمل الله ورسوله فاهتدى على يديه.

سار الرسول ﷺ وصاحبه، وسمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا مستاقين للقاءه، ينتظرونه صباح كل يوم أول الطريق القادم من مكة، لا يرجعهم إلا حر الظهيرة.

حتى إذا كان يوم قدوم الرسول ﷺ صرخ رجل من اليهود بأعلى صوته: يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء. وفي يوم الاثنين ٨ من ربيع الأول من السنة الرابعة عشرة من النبوة - وهي السنة الأولى من الهجرة - الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢م - نزل رسول الله ﷺ ومن

معه بقاء. وكان أول عمل قام به هناك هو أن أسس أول مسجد في الإسلام وقد عمل فيه عليه الصلاة والسلام بيده. واحتفلت المدينة بمقدمه فالصباحات في فرح وابتهاج في كل مكان ينشدون طلع البدر علينا من ثيات الوداع... وجب الشكر علينا ما دعا لله داع... أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفتم المدينة.. مرحباً يا خير داع.

ثم ركب ﷺ ناقته في موكب حافل والكل من الأنصار يدعون، وهو يشير إلى ناقته "خلو سبيلها.. فإنها مأمورة".

فلما وصل إلى دار بنى سالم بن عوف أدركته صلاة الجمعة فصلاها هناك بمن كان معه من المسلمين. فكانت أول جمعة أمها ﷺ. ثم ركب ناقته، فما زالت تسير وقد أرخى لها زمامها، حتى بركت في مكان مسجده.. وكان مريداً يجفف فيه التمر لفلانين يتيمين من بنى النجار عند دار أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري. فنزل ﷺ قائلاً: "رب أنزلي منزلاً مباركاً.. وأنت خير المنزلين"، قالها أربع مرات. ثم قال: "أي البيوت لأهلنا أقرب". قال أبو أيوب: أنا يا نبي الله هذه داري. وهذا بابي. فنزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب، فأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه. وقد ظل عند أبي أيوب سبعة أشهر وقيل سنة. ونزل رسول الله ﷺ في أسفل البيت وكان أبو أيوب وأهله في العلو، فقال: يا نبي الله إنى لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي. فأظهر أنت وكن في الأعلى فهو أرفق بنا وبمن يغشانا في أسفل البيت. واستعطفه حتى انتقل إلى العلو. وقد أخذ رسول الله ﷺ موضع مسجده بثمنه رافضاً أن يهبها أصحابه إليه.

(٩) إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وأثره في الدعوة

لقد أسلم أبو بكر الصديق ، إذ هو أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بكلمة لم يظفر بها غير أبي بكر الصديق وهي قوله صلى الله عليه وسلم (ما دخل أحد إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة وأعلم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه).

وكان الصديق رضي الله عنه في سن قريبة من سن الرسول صلى الله عليه وسلم وكان ذا حسب ونسب في ديار مكة وبين سكانها ، وهو وإن لم يكن هاشمياً فهو تيمى قرشى عظيم بحسن الخلق ، وكرم النفس ، والمعرفة بأنساب العرب. وما أن أسلم رضي الله عنه عن قناعة وعلم بما دخل فيه من دين الله تعالى حتى يتصل بخيار رجالات قريش في مكة يعرض عليهم الإسلام سرّاً فأجابوه وأسلم على يديه نخبة ممتازة كان لها الأثر الكبير في نشر الدعوة داخل مكة وخارجها.

لما هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ معه كل ماله ، وابنته أسماء حين أبدى أبوه الذي كان قد عمى تخوفه عن احتياجهم إذ تركهم أبوهم ، أكدت له أنه ترك لهم مالا كثيراً وصحبته إلى أكياس بها حجارة كي يتحسسها ويطمئن إلى أنهم ليسوا في احتياج لمن يعولهم بعد هجرة أبيهم مع رسول الله.

وكانت اسهامات أبي بكر الصديق بأمواله في دعم جيش المسلمين في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وفي اعتاق من يعذبون من المسلمين على أيدي كفار قريش مثلاً نادراً في نبالة خلقه وصدقه وأمانته حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن إيمان الأمة لو وزن بإيمان أبي بكر لرجح

إيمان أبي بكر، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر دائماً أن أبا بكر رضي الله عنه كان سابقاً لفعل الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف وسد حاجات الضعفاء.

ولما سئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه، قال عائشة رضي الله عنها زوجة وأُم المؤمنين، فلما سألوه عن أحب الناس إليه ﷺ من الرجال أخبر أنه أبوها.

(١٠) إيمان عداس النصراني

اتجه رسول الله ﷺ، حينما كان يدعو القبائل للإسلام ويطلب نصرتها إلى الطائف يطلب نصرة قبيلة ثقيف ويدعوها للإسلام، فأذته شر ابناء، فدعا الله تعالى بهذا الدعاء.. "اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إني من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري.. إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك. لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك".

كان رسول الله ﷺ يكشف عن آمال ثباته بقوله. "إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي"، كما يكشف عن حقيقة عبوديته لله واعتماده عليه بقوله: "ولكن عافيتك أوسع لي".

ويعصره من بعيد صاحبا البستان فيدعوان خادماً لهما ويأمرانه أن يحمل إلى الرسول ﷺ طبقاً فيه قطف من عنب كبير. ويذهب الغلام، واسمه عداس، وكان نصرانياً، حاملاً طبق العنب إلى رسول الله ﷺ، ووضعا إياه بين يديه، ويغمره الرسول ﷺ بضياء من ابتسامته الشاكرة.

ثم يبسط يمينه نحو قطف العنب قائلاً: بسم الله؟
لقد أثارت هذه "البسمة" دهشة الغلام وعجبه. وعلى الفور دار بينه
وبين الرسول ﷺ هذا الحوار.

قال عداس: هذا والله كلام لا يقوله أهل هذه البلاد.

وقال الرسول ﷺ: فمن أى البلاد أنت؟ ما دينك؟

أجاب عداس: أنا نصرانى من أهل نينوى.

قال الرسول ﷺ: من بلد الرجل الصالح يونس بن متى؟

قال عداس: وما علمك بيونس بن متى؟

قال الرسول ﷺ: إنه أخى كان نبياً، وأنا نبى مثله.

فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه..!

لقد كان ظهور "عداس" ارهاصاً بالمفاجآت الباهرة التى ستكتب
تاريخ الإسلام ورسوله وتتضمن انتصارهما العظيم.

(١١) قدم المسلمين مكة معتمرين

— بيعة الرضوان — صلح الحديبية — قدوم أبى بصير مسلماً

فى السنة السادسة للهجرة رأى الرسول ﷺ فى منامة ذات ليلة أنه
دخل المسجد الحرام فى أصحابه آمنين، فاستبشر ﷺ بذلك وخص
ما رأى على أصحابه فاستبشروا، فكان ﷺ والمسلمون فى أشد
الشوق إلى زيارة البيت الحرام، وهكذا هيا الرسول ﷺ الخروج
للعمره فى هذه السنة، خرج فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حرباً وساق
معه الهدى سبعين بدنة، وصل رسول الله إلى ذى الخليفة، فصلى
بهم الظهر، فلما بلغ المشركين خروج رسول الله ﷺ راعهم ذلك،
فاجتمعوا وتشاوروا فاستكبروا أن يدخل عليهم عنوة وبينهم وبينه

حرب، فأجمعوا الرأي على أن يخرجوا ويعسكروا، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن راغباً في القتال وحريصاً على أن يجعل رحلته سلمية، فلما رأى قريشاً تهيات لحربه وأرسلت إليه طلائعها، فسلكت طريقاً غير طريقهم وإن كان وعراً وشاقاً. فلما استقر رسول الله بالحدبية أتى إليه بديل بن ورقاء في نفر من رجال فزاعة، يسأله عن سبب مجيئه فقال لهم: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين. فخرج بديل وأصحابه إلى قريش فقالوا لهم: وإنكم تعجلون على محمد وأنه والله لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً للبيت. فصمموا ألا يدخلها عليهم عنوة - على رغبتهم - ولا تتحدث عنهم العرب بذلك أبداً. كما أتاه عروة بن مسعود سيد ثقيف. فقال: "إن هذا الرجل عرض عليكم خطة رشدة فاقبلوها. دعوني أئته فقالوا أئته. فأتى قريش ناصحاً محذراً، فلم يستمع القوم برأى عروة، كما أتاه أيضاً الحليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم قوم يعظمون الهدى فلما نظر إلى الهدى في الوادي عليه القلائد رجع ولم يصل إلى النبي ﷺ اعظاماً لما رأى وقال لهم: "رأيت ما لا يحل صدمه. فقالوا، إنما كل ما رأيت مكيدة محمد وأصحابه.

وبعث إليهم رسول الله ضراشا بن أمية الكعبي ليبلغ أشrafهم ما جاء له فلم يقبلوا شيئاً وهموا أن يقتلوه فرجع للنبي وقال له "يا رسول الله، ابعث رجلاً أمنع مني".

فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، لكنه أبى لرسول الله خوفه على نفسه، ولكنه دله على رجل أعز بمكة منه، وأمنع وأكثر عشرة هو عثمان بن عفان، فدعا الرسول ﷺ فخرج عثمان بن عفان إلى "بلدح" فوجد قريشاً هناك وأقام عثمان بن عفان عند رجال قريش ثلاثة أيام يؤكد لهم صدق نية رسول الله ﷺ من زيارة البيت، فلم يقتنعوا. وكان عشرة من المهاجرين قد دخلوا على أهلهم بمكة

بإذن رسول الله ﷺ ، فشاع خير بين المسلمين أن عثمان وأصحابه قد قتلوا ، واتسعت الشائعة حتى بلغت رسول الله ﷺ . فحينما علم بذلك قال لأصحابه: " لا نبرح حتى نناجز القوم " .

ودعا المسلمين إلى مبايعته على القتال ، وأمر منادياً فنادى " إن روح القدس ، قد نزل على رسول الله ﷺ ، وأمره بالبيعة ، فأخرجوا على اسم الله فبايعوه . فبايع الناس على ألا يفرأوا ، ثم لبسوا السلاح ، السيوف . وتهياؤوا للحرب ، وقال الرسول ﷺ " إن عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله ، فأنا أبيع عنه " . فضرب شماله بيمينه وقال هذه لعثمان . مما جعل قريش لهذه البيعة أخذت تعيد النظر في موقفها ، فرأوا أن من باعوا أنفسهم ليس هذا إلا لثقة في النصر من الله ، فرأوا أن الجنوح إلى السلم خير وأبقى ، فأرسلوا سهيلاً بن عمرو في نفر من رجالهم يفاوضون رسول الله ﷺ في الصلح على أن يرجع الرسول ﷺ عن مكة عامه هذا حفاظاً على سمعة قريش بين العرب . وقد نص الاتفاق على ما يلي :

١- أن يرجع محمد وأصحابه في عامهم هذا عن مكة ، على أن يدخلوها في العام التالي ، وتخليها لهم قريش ثلاثة أيام يطوفون فيها بالبيت العتيق .

٢- عقد هدنة بين قريش والمسلمين مدتها عشر سنوات يأمن فيها كل من الطرفين صاحبه .

٣- السماح للقبائل العربية بالدخول في حلف محمد إذا أرادت ، وأن يدخل في حلف قريش من يريد أيضاً (ويعد هذا الشرط من أهم مكاسب المسلمين في قدرتهم على منازعة سيادة قريش وحدها على بلاد العرب) .

٤- من جاء إلى محمد من أهل مكة دون إذن وليه رده إليها ، ومن

جاء من أصحاب محمد لا يرد إليه (وقد أغضب هذا الشرط المسلمين، وجادلوا فيه الرسول الكريم ﷺ، ولكنه أصر على إبرام الصلح، لما فيه من مكاسب كثيرة للمسلمين).

وقد ضاق كثير من المسلمين بهذا الصلح وبخاصة عمر بن الخطاب وقالوا "ألسنا على الحق وعدونا على الباطل، فعلام نعطي الدنيا في ديننا إذن؟ ولكن رسول الله لم يخالف أمر الله.

ومما زاد ضيق المسلمين بالصلح تشدد سهيل بن عمرو أثناء كتابة عقد الصلح مع تساهل رسول الله ﷺ.

كما حضر أبو جندل بن سهيل بن عمرو هارياً من مكة يرسف في قيوده بعد أن أوثقه أبوه وسجنه بسبب إسلامه.

ولكن أباه أخذ يضرب وجهه، وصاح أبو جندل: يا معشر المسلمين. أريد إلى المشركين يفتنونى فى دينى؟ فزاد ذلك من غضب المسلمين. وقال سهيل بن عمرو "هذا أول من قاضيتك على رده، فرده رسول الله ﷺ قائلاً لأبى جندل: "أصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم".

وقد استفز الموقف عمر بن الخطاب، فمشى إلى جوار أبى جندل يدلى منه قائم السيف، رجاء أن يأخذه فيضرب به أباه. ولكن أبى جندل أبى ذلك. ومضى والمسلمون ينظرون إليه فى حسرة. عائداً إلى مكة. ولما فرغ الرسول ﷺ من كتابة عقد الصلح وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابه. قال ﷺ لاصحابه "قوموا فانحروا واحلقوا". فلم يجبه رجل منهم إلى ذلك حتى قالها ثلاث مرات، فدخل على أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ غاضباً، حتى أنه كان لا يجيبها مراراً. فقال: عجبا يا

أم سلمة ! إني قلت للناس انحروا واحلقوا وصلوا مرارًا فلم يجيني أحد من الناس وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي، فقالت: يا رسول الله. انطلق أنت إلى هديك، فانحره، فإنهم سيقتدون بك. وقد كان فما أن نحر هديه، حتى تواتب الناس إلى الهدى واذحموا عليه.

وروى أن أم سلمة لما ذكر لها رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله لا تلمهم، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة من أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح، وقد قال رسول الله ﷺ ثلاثًا "رحم الله المحلقين، فلما قالوا: يا رسول الله والمقصرين. قال: والمقصرين، وقال في ذلك أن المحلقين لم يشكوا.

وبعدئذ لما سألوا الرسول ﷺ عما سبق أن بشرهم به من دخول المسجد الحرام وهم لم يدخلوا، فيقول لهم: "أكنت حدثتكم أنكم تدخلونه هذا العام، فيقولون "لا" فيقول "فإنكم ستدخلونه، وتطوفون به إن شاء الله. فيسألونه: وكيف نرد إلى الكفار من جاءنا مسلمًا ولا يردون إلينا من جاءهم مرتدًا؟" فيقول لهم: من ذهب منا إليهم فلا رده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا".

ولقد كان للصلح كثير من المزايا والخير الكثير، فاعترفت قريش بحق المسلمين في زيارة البيت، وأمن المستضعفون على أنفسهم. وأمن الناس بعضهم بعضًا، ولقد دخل في الإسلام في تلك الهدنة من كانوا من صناديد المشركين كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم.

قدوم أبي بصير

بعد أن عاد المسلمون مع رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، قدم عليهم أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلماً، وكان من المطلوب رده لقريش طبقاً لشروط الصلح والذي كان يتألم منه المسلمون غاية التألم، كان أبو بصير قد فر هارباً بدينه من قريش، فأرسلت رجلين من رجالها تطالب به النبي ﷺ لرده إليها، فقال الرسول ﷺ: يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، وما يصلح لنا في ديننا الغدر، فانطلق إلى قومك". فقال أبو بصير: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟! قال: انطلق، فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً".

وكان أبو بصير قوى الشكيمة، فلما كانوا ببعض الطريق احتال حتى أخذ من أحد الرجلين سيفه، ثم جعل يضربه به حتى قتله، فلما رأى صاحبه ذلك فر بنفسه هارباً. وأبو بصير في أثره يقول: "والله لو أدركته لاسلخته طريق صاحبه". حتى دخل الرجل على رسول الله ﷺ المسجد مرتاعاً يقول: قتل صاحبكم صاحبى!!". فسلم أبو بصير على رسول الله ﷺ ثم قال: وفدت ذمتك يا رسول الله، وأدى الله عنك، أسلمتني إلى القوم، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه، فقال رسول الله ﷺ: "أذهب حيث شئت". فلما ولى أبو بصير قال رسول الله ﷺ: "ويألمه، مسعر حرب!! لو كان له أحد".

فانطلق أبو بصير حتى أتى ناحية من ساحل البحر تسمى العيص على طريق عير قريش إلى الشام. فخرج ولم يكن معه من الزاد إلا كفاً من تمر فأكلها، ثلاثة أيام، وكان يأتي الساحل فيصيب حيتاناً قد ألقتها البحر فيأكلها. وبلغ المسلمون الذين حبسوا بمكة

ما حدث لأبي بصير، فجعلوا يتسللون إلى أبي بصير، وكانوا قد جاءهم كتاب عمر بن الخطاب، فلما علموا منه أن أبا بصير بالساحل على طريق عير قريش، تسللوا إليه رجلاً رجلاً، فاجتمعوا عند أبي بصير سبعين رجلاً كان فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو، فضيقوا على قريش لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر عير إلا اقتطعوها، وقد أمروا عليهم أبا بصير، فكان يصلى بهم. وقد اشتد على سهيل بن عمرو مقتل العامري الذي أوفد لإرجاع أبي بصير واحتاروا من الذي يدفع ديته إلى أهله، وقد أكدت قريش أن محمداً قد برئ منه.

فلما بلغ أبو بصير ما بلغ من الغيظ، بعث قريشاً رجلاً إلى رسول الله ﷺ، وكتبت معه كتاباً يسألونه بأرحامهم "ألا تدخل أبا بصير وأصحابه فلا حاجة لنا بهم".

فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير أن يقدم بأصحابه، فجاءه الكتاب وقد حضرته الوفاة، فجعل يقرأ وهو يموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يديه، فقبره أصحابه هناك، وصلوا عليه، وبنوا على قبره مسجداً، وأقبل أصحابه إلى المدينة وهم سبعون رجلاً.

(١٢) إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن

طلحة

كان عمرو بن العاص قد حضر بدرًا مع المشركين، فقد كان معانداً للإسلام، ثم حضر أحدًا، فنج منها، ثم حضر غزوة الخندق. فقال في نفسه، والله ليظهرن محمد على قريش، ولم يحضر الحديبية ولا صلحها، فخلف ماله بالرهط، فقدم مكة فجمع رجالاً من قومه يرون رأيه ويسمعون منه. فرأى أن يلحقوا بالنجاشي، فإن ظهر محمد كانوا عند النجاشي وليسوا تحت يد محمد، وإن تظهر قريش فنحن

ممن قد عُرِفوا. وخرجوا فأتوا النجاشي، وإذ كانوا عنده جاءه عمرو بن أمية الضمري - وكان رسول الله ﷺ قد بعثه بكتاب كتبه إليه أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، ثم خرج من عنده. فدخل عمرو بن العاص على النجاشي محيياً فقال له: أيها الملك إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول عدو لنا قد وترنا وقتل أشرفنا وجارنا فاعطنيه أقتله. فرفع النجاشي يده فضرب بها أنف عمرو بن العاص فأدماه فجعل يتلقى الدم بثيابه. فلما سأله عن كراهيته لما سأله قال: تسألني أن أعطيك رسول رسول الله. من يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ﷺ، والذي كان يأتي عيسى بن مريم ﷺ لتقتله؟!!

فغير الله قلب عمرو بن العاص عما كان عليه وقال في نفسه:
عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت؟!!

قال: أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال: نعم، أشهد به عند الله يا عمرو، فأطعني وابتعه. قال: أفتبايعني على الإسلام؟

قال: نعم؟ أشهد. فبسط يده، فبايعه عمرو على الأسلام ودعا له بطست ففسل عنه الدم، وكساه ثياباً، ثم خرج عمرو بن العاص يريد المدينة، وإذا برجلين قد سبقاه أحدهما خالد بن الوليد، فقال: أبا سليمان؟ قال: نعم. قال: أين تريد؟ قال: محمد.

دخل الناس الإسلام فلم يبق أحد به طمع. والله لو أقمنا لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبع فم مغارتها. قال عمرو: وأنا والله قد أردت محمداً، وأردت الإسلام. وخرج عثمان بن طلحة، فرحب به فنزلوا جميعاً في المنزل، ثم ترافقوا حتى قدموا المدينة وأناخرو بالحررة، فانطلقوا حتى قدموا المدينة وطلعوا عليه ﷺ وإن وجهه تهلل، والمسلمون حوله قد سرروا بإسلامهم. فتقدم خالد بن الوليد

فبايع. ثم تقدم عمرو بن العاص، فلما جلس لم يستطع أن يرفع طرفه إلى النبي حياء منه، فبايعه على أن يغفر له ما تقدم من ذنبه. فقال: إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، والهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها.

(١٣) إسلام سعد بن معاذ

بعد بيعة العقبة الأولى، والتي قدم أهلها من المدينة وهم (أسد بن زرارة، وعوف ومعاذ ابنا الحارث وهم ابنا عفرأ، ورافع بن مالك بن عجلان، وعبادة بن الصامت وغيرهم من الخزرج _ ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان وهويم بن ساعدة) فانصرفوا بعد البيعة، وبعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وأمره أن يقرئهم القرآن الكريم، ويعلمهم الإسلام، فنزل مصعب بالمدينة على أسعد بن زرارة، وأنزله أسعد في دار بني ظفر، واجتمع عليه رجال ممن أسلموا فسمع به سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهما سيدي بني الأشهل، وكانا مشركين.

فقال سعد لأسيد: انطلق إلى هذين اللذين أتيا دارنا فأنيهما (ويعنى بالرجلين مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة)، فإنه لولا أسعد بن زرارة وهو ابن خالتي لكفيتك ذلك.

فأخذ أسيد حريرته ثم أقبل عليهما فقال: ما جاء بكما تسفهان ضعافتا اعتزلا عنا فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنا ما تكره؟ فقال: أنصفت. ثم جلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام، فقال: ما أحسن هذا وأجله؟ كيف تصنعون إذا دخلتم هذا الدين؟ فقالا: تغتسل وتطهر ثيابك، ثم تشهد شهادة الحق _ لا إله إلا الله محمد رسول الله _ ثم تصلي ركعتين، ففعل ذلك وأسلم، ثم قال لهما إن ورائي رجالاً إن تبعكما لم يتخلف

عنكما أحد من قومه وسارسله إليكم وهو سعد بن معاذ.
وانصرف أسيد إلى سعد وقومه. فلما نر سعد قال: أحلف بالله لقد
جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، ثم قال لاسيد: ما
فعلت؟ قال: كلمت الرجلين ما رأيت بهما بأسا.

وذهب سعد بن معاذ إلى أسعد ومصعب فدعاه مصعب إلى الإسلام
فأسلم على نحو ما أسلم أسيد. ثم ذهب إلى دار بنى عبد الأشهل فسألهم
قائلًا: هل تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا، قال: فإن كلام
رجالكم ونسائكم على حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فوالله ما أمسى في
دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا أصبح مسلمًا أو مسلمة.

ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، وما زال يدعو إلى الإسلام
حتى لم يبق من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما
كان من بنى أمية بن زيد حيث أسلموا بعد هجرة الرسول ﷺ إلى
المدينة المنورة.

(١٤) مصرع عدو الله أبي جهل

في غزوة بدر الكبرى حينما هجم المسلمون بقوة وبسالة على
عدوهم من مشركي قريش، ظهرت أمارات الاضطراب في صفوفهم
وقتل من قتل، حاول أبو جهل أن يصمد وجعل يشجع المشركين،
وكان بنو مخزوم قد ألبسوا الأمة أبي جهل عبد الله بن المنذر بن أبي
رفاعة فصمد له على بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله وهو يظن أنه قتل أبا
جهل، ثم ألبسوها قيس بن الفاكه بن المغيرة فصمد له حمزة وهو
يظنه أبا جهل، فضربه فقتله. ثم ألبسوها حرملة بن عمرو، فصمد له
على رضي الله عنه فقتله - وأبو جهل في أصحابه، ثم حمل معاذ بن عمرو
بن الجموح على أبي جهل، فضربه، وطرح رجله من الساق، ثم أقبل

عكرمة وضرب معاذ حتى قطعت يده. فنقل رسول الله ﷺ سيف أبي جهل لمعاذ بعد أن أرسل إلى عكرمة بن أبي جهل فسأله: من قتل أباك؟ قال الذي قطعت يده. ويقال إن معاذ بن عمرو وابني الحارث أثبتوا أبا جهل، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رمق. فكل قد شارك في قتل عدو الله أبي جهل. وقد استشهد ابنا الحارث صغيري السن يومئذ ووقف رسول الله ﷺ على مصرعهما قائلاً: رحم الله ابني عفراء، فإنهما قد شاركا في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر، فقيل: "يا رسول الله من قتله معهما؟ قال: الملائكة وأجهز عليه ابن مسعود. فكل قد شارك في قتله. وفرح رسول الله ﷺ بقتل أبي جهل وقال: "اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتمم على نعماءك".

(١٥) طلحة بن عبيد الله في غزوة أحد

بعد أن انتصر المسلمون على كفار قريش في غزوة بدر الكبرى انتصاراً مؤزراً، أراد مشركو قريش أن ينتقموا لقتل زعمائهم، فأخذ المشركون يحرضون القبائل ضد المسلمين ويفتحون باب التطوع لكل من رغب في غزو المسلمين.

وبعد مضي سنة عن معركة بدر استكملت قريش عدتها، وخرجت بقواتها - وهم ثلاثة آلاف مقاتل بعد أن انضم إليهم مائة رجل من ثقيف.

وكان الرسول ﷺ على صلة وطيدة بعمه العباس بن عبد المطلب والذي كان مازال على دين قومه، ويعيش في مكة. استأجر رجلاً من بنى غفار ليخبر رسول الله ﷺ بتحركات قريش واستعداداتها العسكرية، فأسرع الغفاري رسول العباس برسالته وطلب النبي ﷺ أبي بن كعب وأمره أن يقرأ الرسالة عليه، وأمره بالكتمان، وعاد

مسرّعاً إلى المدينة لتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار.

وبعث رسول الله ﷺ لاستطلاع خبر العدو، فجاءوا إليه وأخبروه بمنزلهم من وادي أحد، وحددوا له أعدادهم وعتادهم. واختلف رأى من استشارهم رسول الله ﷺ بين المكوث بالمدينة أو الخروج إلى الكافرين، إلا أن اشتياق الأغلبية للخروج عسى أن تكتب لهم الشهادة كان هو الرغبة الغالبة، فصلى الرسول ﷺ بهم الجمعة ووعظهم وأخبرهم بأمر الخروج لقتال المشركين، ففرح الناس بالخروج إلى عدوهم. ثم خرج رسول الله ﷺ وقد لبس لأمته، قال الذين كانوا يلحون في الخروج "يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، فقال: لا ينبغى إذا لبس نبي لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. وقد بات المسلمون بين جبل أحد والمدينة وانتخب رسول الله ﷺ للحراسة خمسين رجلاً قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري. وقد حدث تمرد شيخ المنافيين عبد الله بن أبي سلول، فانسحب بنحو ثلث الجيش قائلاً: ما ندرى علام نقتل أنفسنا". وقد كان هدفه أن يحدث الاضطراب والارتباك على مرأى ومسمع من العدو، لكي يحقق هدفه ويسرع في القضاء على النبي ﷺ وأصحابه. وأصبح عدد الجيش بعد انسحاب عبد الله بن أبي وأصحابه.. سبعمائة مقاتل، فزحف النبي ﷺ ببقية الجيش نحو مواقع العدو، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين جبل أحد. ونزل النبي بالجيش إلى تل مشرف يقال له جبل عيئين واسمه حالياً جبل الرماة، ونزل الشعب من جبل أحد من عدوة الوادي. فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد.

وأبدى الرسول ﷺ أوامره لقائد خمسين من الرماة المهرة وهو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري قائلاً: انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتون من خلفنا إن كانت لنا أو علينا _ أي في حالتى النصر أو

الهيزيمة _ فاثبت مكانك ، لا تؤت من قبلك. ثم قال للرماة أحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم ، وذلك حتى لا يقوم المشركون بمحاولات الالتفاف والتطويق لجيش المسلمين.

وانشغل الرسول ﷺ في صف جنوده وتحديد مواقعهم ، فانتهاز المشركون الفرصة للإتيان من السهل المنبسط تحت التل وصار الجيشان وجهًا لوجه ، فأخذ الرسول ﷺ يحرض المؤمنين على القتال ، حتى أنه جرد سيفًا باترًا ونادى في أصحابه "من يأخذ هذا السيف بحقه" فقام إليه رجال ليأخذوه _ منهم علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام _ حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله ، فأعطاه إياه. وكان أبو دجانة رجلاً جسورًا ، له عصاية حمراء إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاقل حتى الموت ، ولما اعتصب بها ومشى يتبختر في مشيته ، قال رسول الله ﷺ : "تلك مشية يبغضها الله إلا في هذا الموقف".

وقد أبلى في القتال بلاء حسنًا. وحاول المشركون قبل بدء المعركة الالتفاف مرتين بحركة سريعة ، مرة بلواء عكرمة في الميسرة ، والمرة الأخرى بمحاولة خالد بن الوليد من الميمنة ، فلم يفلحوا. فقد أمطرهم الرماة وابلاً من النبال ، فارتدت الخيل على أعقابها مسرعة ، وعاد المشركون إلى أماكنهم في أول المعركة. ثم اشتعلت المعركة بتقارب الجمعين ، فخرج حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري وهو راكب على جمل _ وكان من أشجع رجال قريش _ وأخذ يدعو للمبارزة ، فبرز إليه الزبير بن العوام ولم يمهل بل وثب إليه وثبة الليث فألقاه عن جملة واقتحم به الأرض ، وأخذ منه سيفه فذبحه به.

فرح المسلمون وأثنى رسول الله على الزبير قائلاً: "إن لكل نبي حوارياً وحواريي الزبير". ثم هجم على بن أبي طالب على شيبة بن أبي طلحة الذي أخذ اللواء من أخيه _ فقتله. فأخذ اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم في حنجرته فمات لحينه. وأقبل أبو دجانة معلماً بعصابة حمراء أخذاً سيف رسول الله ﷺ مصمماً على أداء حقه، فقاتل ببسالة، وكان لا يلقي مشركاً إلا قتله، فأخذ يهد المشكرين هدأً، حتى قال الزبير بن العوام "وجدت في نفسي _ أي أحس بالحرز، حيث سألت رسول الله ﷺ السيف فمتعنى إياه، وأعطاه أبا دجانة، فقلت في نفسي "أنا ابن صفيية عمته، ومن قريش وقد همت إليه فسألته إياه قبله. فأتاه إياه وتركني!! والله لأنظرن ما يصنع، فاتبعته _ يقصد أبا دجانة _ فأخرج عصابته الحمراء، فنصب بها رأسه، فقالت الأنصار "أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله. وجعل المسلمون يتبعون المشركين الذين هربوا حتى أبعدهم عن المعسكر، ثم وقعوا على الغنائم والأسلاب يجمعونها وهم مطمئنون إلى أن ظهورهم لا تزال محمية برماتهم.

وأثناء هجوم المشركين كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأسد الله يهجم على الأعداء ويهدهم هدأً، فترصد له غلام هو وحشى بن حرب كان يقذف بالحجارة قذف الحبشة فلما يخطئ بها شيئاً _ قال له مولاة جبير بن مطعم إن قتلت حمزة عم النبي بعمى (عمه طعيمة بن عدى قد قتل ببدر) فأنت عتيق. تحين وحشى لحمزة فهز حرите ودفعها إلى فوق في أحشائه حتى مات فلما قدم مكة أعتق.

وخيل للرماة أن المعركة انتهت وأن الهزيمة حلت بالمشركين، فخشوا أن يسبقهم إخوانهم في جمع الغنائم فقالوا وما بقاؤنا، ادخلوا فاغتموا مع إخوانكم مخالفين بذلك أوامر رسول الله ﷺ. وانتهز الفرصة خالد بن الوليد وجاء في أعقابه عكرمة بلوائه فتسللوا فوق

الجبل فأزاحوا الرماة من أماكنهم واقتحموا خطوط المسلمين، وفوجئ المسلمون بأعدائهم قد حاصروهم وأوقعوا فيهم قتلاً سريعاً. ومما زاد الأمر سوءاً أن صرخة خائنة انطلقت تصرخ في الناس "إن محمداً قد قتل" فأخذ المسلمون بهذه الصرخة واذهلتهم المفاجأة وأمعنوا في الفرار ولم يبق مع النبي ﷺ غير طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، حتى أن الرسول ﷺ قال: اشتد غضب الله على قوم آدموا وجه رسوله. ثم مكث ساعة ثم قال: الله اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وقد قاتل طلحة بن عبيد الله قتالاً شديداً، وصار يزود بالسيف من بين يدي النبي ﷺ ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يدور حوله يترس بنفسه دونه - والسيوف تغشاه والنبل تأتيه من كل ناحية فلم يزل يقي رسول الله ﷺ حتى انكشف المشركون عنه فجعل رسول الله ﷺ يقول قد أوجب طلحة - أي أوجب لنفسه الجنة - بصدق دفاعه عن رسول الله ﷺ، وحتى قيل ذلك اليوم كله لطلحه.

ولما انصرف المشركون يوم أحد قال رسول الله ﷺ: "استوتوا حتى أتى على ربي ﷻ". فصاروا خلفه صفوفاً، فدعا ربه قاتلاً: "اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم إني أسألك النعيم المقيم والأمن يوم الخوف. اللهم إني عاتذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا. اللهم حيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان. واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتوتين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق".

(١٦) إسلام عدى بن حاتم وأخته

لما سمع عدى بن حاتم برسول الله ﷺ كره دعوته، كان يدين بالنصرانية ويأخذ من قومه المرباع - وهو ربع ما يصلهم من غنائم الحروب - وكان العرب يجعلون ذلك لرئيسهم، فلما سمع بقرب قدوم حملة رسول الله ﷺ إلى قومه - انزعج وترك قومه، ولحق بنصاري الشام وفي غمرة انزعاجه وفراره نسي أخته بين قومه. فلما قدم رسول الله ﷺ ومن معه من مجاهدى المسلمين وقعت ابنة حاتم الطائي في الأسر، فلما مر رسول الله ﷺ يتفقد السبي عرفته بنفسها حتى تفدى نفسها، فأمر رسول الله ﷺ بإطلاق سراحها، وأكرمها إكراماً لأنها ابنة حاتم الطائي أجود العرب، فما يليق أن تؤسر ابنة من رفع ذكر العرب في الجود والكرم.

فكان هذا سبباً في هدايتها ودخولها الإسلام، هذا ما كان منها أما عدى بن حاتم فقد كره مكانه بالشام أشد من كراهته لرسول الله ﷺ فقال في نفسه " لو أتيت، فإن كان ملكاً أو كاذباً لم يخف على أمره. وإن كان صادقاً أتبعته، وصادف هذا أن بعثت له أخته كي تبشره ليدخل في الإسلام حتى لا يفوته كرامة الدنيا وعز الآخرة، فخرج حتى قدم على رسول الله ﷺ في المدينة، فدخل عليه وهو في مسجده، فقال: عدى بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته، وفي الطريق إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفت، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، ثم مضى به رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفاً، فحذفها إليه وقال: اجلس على هذه.

قال عدى: بل أنت فاجلس عليها، فقال بل أنت.. فجلس عليها

وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. فقال عدى فى نفسه "والله ما هذا بأمر ملك!"

ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم.

هل تعلم من إله سوى الله؟

قال: لا.

قال: ألم تكن ركوسياً (قوم لهم دين النصرانى والصابئة).

قال: بلى.

قال: ألم تكن تسير فى قومك بالمرىاع؟

قال: بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحل فى دينك.

قال: أجل والله.

قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجة أهله. فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه⁽¹⁾، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من بيتها من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليه. فأسلم عدى. وقال عدى بن حاتم، فرأيت اثنين مما تنبأ رسول الله ﷺ، الطعينة التى ترحل هودجها حاجة وهى آمنة لا يمسه خوف، وكنت فى أول خيل أغارت على كنوز كسرى، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة، إنه لقول رسول الله ﷺ لى.

(1) حدث هذا فعلاً فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه.

(١٧) شهيد فى الجنان حارثة بن سراقه

عقب انتهاء معركة بدر الكبرى، وكان كبار المسلمين يهتفون برسول الله ﷺ وأصحابه بالنصر المبين، حدث كما روى البخارى، أن حارثة بن سراقه أتاه سهم غرب، لا يعرف راميته، فوقع فى نحره، فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه. فبلغ أمه وأخته خبر مقتله وهما بالمدينة. فقالت أمه، والله لا أبكى عليه حتى يقدم رسول الله ﷺ فاسأله، فإن كان ابنى فى الجنة لم أبك عليه، وإن كان فى النار بكيت عليه فأعولته. فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءت أم حارثة فقالت: يا رسول الله. قد عرفت موقع حارثة من قلبى. فأردت أن أبكى عليه. فقلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله ﷺ فإن كان فى الجنة لم أبك عليه. وإن كان فى النار بكيت فأعولته. فقال النبى ﷺ: هبلى، أجنة واحدة!؛

إنها جنان كثيرة، والذى نفسى بيده، إنه لفى الفردوس الأعلى. قالت: فلا أبكى عليه أبداً.

فدعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء، فغمس يده فيه، ومضمض فاه، ثم ناول أم حارثة فشربت، ثم ناولت ابنتها فشربت، ثم أمرهما فنضحتا فى جيوبهما، ففعلتا. فرجعتا من عند النبى ﷺ وما بالمدينة امرأتان أقر عينا وأسر منهما.

(١٨) إسلام مالك بن عوف

بعد انتصار المسلمين فى غزوة حنين، وتوزيع الغنائم بالجعرانة، ثم قدم على رسول الله ﷺ وفد هوازن سأل عليه الصلاة والسلام وفد هوازن عن مالك بن عوف، فعلم أنه لا يزال بالطائف مع ثقيف، وطلب

إليهم أن يبلغوه "إن أتاه مسلماً رد عليه أهله ، وأعطاه مائة من الأبل.
فلما علم مالك بوعد رسول الله ﷺ تسلل من وراء ثقيف، وأتى رسول
الله مسلماً ، فأعطاه رسول الله ما وعده ، وأمره على من أسلم من قومه ،
فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، ويغير على سرحهم ، حتى ضيق عليهم.

(١٩) الأعرابي في غزوة ذات الرقاع

سمع رسول الله ﷺ باجتماع نفر من أنمار وبنى محارب من غطفان
لغزو المدينة ، فأسرع بالخروج إليهم ، وسار إلى موضع يقال له نخل
على بعد يومين من المدينة ، فلقى جمعاً من غطفان ، وخاف الفريقان
بعضهما بعضاً ، ولم يكن بينهما قتال.

وكان قد خرج مع رسول الله ﷺ ستة نفر بينهم بغير يتعقبونه ،
فنشبت أقدامهم وسقطت أطرافهم وكانوا يلغون على أرجلهم الخرق ،
فسميت الغزوة بذات الرقاع لهذا ؟. فأتوا على شجرة ظليلة تركوها
للنبي ﷺ ، فنزل تحتها وتفرق الناس ، وعلق رسول الله ﷺ سيفه
بالشجرة ، وناموا ، فجاء رجل أعرابي من المشركين فاخطف سيف
رسول الله ﷺ وقال : أخافني؟ قال رسول الله ﷺ : لا. قال : فمن يمنعك
مني؟ قال : الله. فسقط السيف فأخذه رسول الله ﷺ وقال له : من
يمنعك مني؟ قال : كن خير آخذ ، فقال رسول الله ﷺ "تشهد أن لا إله
إلا الله وأنى رسول الله". ثم دعا رسول الله ﷺ : أصحابه فجعأوا ، فإذا
عنده هذا الأعرابي جالساً ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا اخترط سيفي
وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده ، فقال : من يمنعك مني؟ قلت : الله.
فها هو ذا جالس ، ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ فقال الأعرابي : أعاهدك
ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فحلى رسول الله ﷺ سبيله ،
فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس.